العظيمة ، قال الذهبيّ عاش للجهاد في أيّامه وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيّام عمر بن الخطّاب رضه ، وقال ابن ابي عُبَيْدة وابن مسهل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبويّ وبنائه ، قال ابو الوليد الازرقي قال جدّي عمّر الوليد ابن عبد الملك المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملاً محكمًا وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو أوّل من نقل الاساطين الرخام وسقّفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس الاساطين صفايح الذهب وازّر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سُرادقات ، قال النجم عمر بن فهد رحمه الله بعث الوليد بن عبد الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسْري بستة وثلاثين الف دينار فضرب منها على بابي الكعبة صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في باطنها وعلى الاركان التي في جوفها ويقال ان الحلية التي حلّاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هي ما كانت في مايدة سليمان بن داود من ذهب وفضّة وكانت قد احتملت من طُلَيْطلة من جزيرة الاندلس على بغل قويّ فتفسّخ تحتها وكانت بها اطواق من ياقوت وزبرجد والله اعلم ۞

الباب الرابع

في ذكر ما زاد العبّاسيّون في المسجد الحرام ،

لمّا انطوى بساط مُلْك بني مروان ، وآلَ الى آل عبّاس الامرة والسلطان ، مزّقت بنو أُمَيّة كلّ ممزّق ، وشقّق الدهرُ حُلَلَ ايناسهم ومزّق ، وحرّق بنار البَأْس لباسهم وخرّق ، وكان رقص لهم الدهر وصفّق ، وكانت تغور امآلهم بَوَاسم ، وغُرَرُ أيّامهم بصُنُوف اللّهْو مَوَاسم ، ورياح عزّتهم في رياض غُرّتهم نَوَاسم ، وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ، وتجري على حسب

مطلوبهم خيول القدر والقضا، ثم انحرفت عنهم الايام فاظلمت غبر اشراقهم، واذوى بلهيب العكس يانع اوراقهم، ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم، فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام، ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجسام، وأذيق الموت الاحمر مروان الحمار، ونزع من تحت الملك الى تحت حافر الحمار، فما بكت عليهم السماء والارض، وما بقى لهم الا ما قدموه من نقل وقرض، ونزعوا من بين الاتراب، الى بطن التراب، وسبقوا للحساب، الى يوم الحساب، فسحقا لدنيا لا وفاء فيها لبنيها، ولا بقاء لحالتى تجليها وتجنيها، ولا ابقاء فيها على تجنابيها وتجنيبها، ذلت عزة عاد، وهدمت قصر شداد، وأخربت أرم ذات العماد، فأف على الدنيا وزخرفها، والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها، كم نادت عليهم حذار حذار من بطشى وفتكى، وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكى،

ولا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى،

وكانت مدة ملكهم الف شهر، وكان ما تحملوه من الوزر والقهر، لتلك المدة كالقهر، وجعل الله لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر، وما ادراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من الف شهر، قال الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى الدر المنثور اخرج ابن ابى حاتم عن ابن عمر رضه ان النبى صلعم قال رايت ولد الحكم بن العاص على المنابر كانهم القردة وانزل الله فى ذلك وما جعلنا الرويا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القران يعنى الحكم وولده، واخرج ابن مردويه عن عايشة رضها انها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله صلعم يقول لأبيك وجدك انكم الشجرة الملعونة فى القران، واخرج ابن مردويه عن

الحسين بن علي رضه ان رسول الله صلعم اصبح يوماً وهو مهموم فقيل له ما لك يا رسول الله قال انى رايت فى المنام كأنّ بنى امية يتعاورون منبرى هذا فقيل يا رسول الله لا تهتمّ فانها دنيا تنالهم فانزل الله وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس ، قال ابن عطية فى تفسيره ولا يدخل فى هذه الرويا عثمان رضه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز انتهى ، وما كانت فى الحقيقة ولاية بنى امية الاّ فتنة للناس ، وآلَ المُلْك بعدهم الى آل العبّاس ، واحكمهم الدهر بعد العُبُوس والبَأْس ، وأبسلهم حُلَل الامر والنّهى وأفرحهم بذلك الالباس ، وآنسهم بعد الوحشة وما دام لهم ذلك الايناس ، وهكذا الدُّنْيا دُوَل تَدُول وتُنَال ، وما زال لكلّ زمان دَوْلَةٌ ورجال ☆

فأوّلُ من ولى منهم السَّفّاح ابو العبّاس عبد الله بن محمّد بن علي ابن عبد الله بن عبّاس رضه وكان اصغر من اخيه ابى جعفر المنصور ، قال ابن جرير الطبرىّ وكان بَدْء امر بنى العبّاس ان رسول الله صلعم اعلم العبّاس عمّه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقّعون ذلك الى ان بويع لأبيه محمّد سِرًّا فلمّا مات محمد عهد لولده ابراهيم فسجنه مروان وقتله فى الحبس فعهد ابراهيم لاخيه عبد الله هذا وبويع له فى الكوفة فى ثالث ربيع الاول سنة ١٣٢ وكان مولده سنة ١٠٨ وتوفّى بالجدرى فى ذى الحجّة سنة ١٣٦ وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يومن وكان بذولاً سفاكًا قُتل فى مبايعته من بنى امية واتباعهم ما لا يُحْصَى كثرة وتوطّأت له الممالك من الشرق الى اقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عامًا ومدّة امارته اربعة اعوام وجَرَتْ عادة الله تعالى فى الملوك والسلاطين قصر اعمار من اكثر من سفك الدماء منهم ☆

وولى بعده اخوه ابو جعفر عبد الله المنصور هو اسنّ من اخيه السفّاح وبويع له بعهد من اخيه فى اول سنة ١٣٧ وكان ظلوماً غشوماً هو اوّل من اوقع الفتنة بين العبّاسيّين والعلويّين وقتل الاخوين محمدا وابراهيم ابنَىْ محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحُسَيْن بن على رضهم وكانا خرجا عليه وأذى بسببهما خلقًا كثيرًا من العلماء قتلًا وضربًا ممّن افتى بجواز الخروج عليه منهم الامام ابو حنيفة رحمه أكرهه على القضاء فأبى فسجنه فمات فى السجن وقيل انه سمّه فى السجن لانه افتى بالخروج عليه وسُمّى لبُخْله ابا الدرانيق لمحاسبة العمّال والصُنّاع على الدانق والحبّة وقتل ابا مسلم الخراسانى وهو الذى قام بدَعْوَة الناس الى بنى العبّاس وشرح ذلك يطول ووطّنت له الممالك ودانت له الامصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأُمَوىّ فانفرد بالاندلس وطالت مُدّته وملكها بنوه واستمرّت فى يدهم مُدّة ۞

وفى المحرّم سنة ١٣٨ وقيل سنة ١٣٩ امر ابو جعفر المنصور بالزيادة فى المسجد الحرام فزيد فى شقّه الشامى الذى يلى دار النَّدْوَة وزاد فى اسفله الى ان انتهى الى المنارة التى فى ركن باب بنى سَهْم ولم يزد فى الجانب الجنوبى شيئًا لاتّصاله بمسيل الوادى ولصُعُوبة البناء فيه وعدم ثباته اذا قَوِى السيلُ عليه ولذلك لم يزد فى اعلا المسجد واشترى من الناس دُورَهم وهدمها وادخلها فى المسجد الحرام وكان الذى ولى عمارة المسجد لابى جعفر امير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثى وكان من شرطته عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع جدّ مشافع ابن عبد الرحمن الشَيْبى وكان زياد أخْحَفَ بدار شيبة بن عثمان وادخل

اكثرها فى الجانب الاعلى من المسجد فتكلّم مع زياد فى ان يميل عنه قليلاً ففعل فكان فى هذا المحلّ ازوراز فى المسجد وامر ابو جعفر المنصور بعمارة هناك فعُملت واتّصل عمله فى اعلا المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل ابو جعفر طاقًا واحدًا باساطين الرخام دايرًا على صَحْن المسجد وكان الذى زاد فيه مقدار الضعف ممّا كان قبله وزخرف المسجد بالفُسَيْفِسَآء والذهب وزيّنه باذواع النقوش ورخّم الحجّر بالحجّارة المهملة المكسورة ثم الجيم وهو اوّل من رخّمه وكان كلّ ذلك على يد زياد ابن عبيد الله الحارثى وَالِى الحرمَيْن والطايف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك فى عامَيْن وقيل فى ثلاثة اعوام وكتب على باب بنى جُمَح احد ابواب المسجد الحرام من جهة الصَّفَا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله ارسله بالهُدَى ودين الحقّ ليُظْهره على الدين كله ولو كره المشركون، ان اول بيت وُضع للناس للذى ببكّة مباركًا وهُدًى للعالمين، فيه ايات بيّنات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنًا ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غنىٌّ عن العالمين، امر عبد الله امير المومنين اكرمه الله تعالى بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرًا منه للمسلمين واهتمامًا بامورهم، والذى زاد فيه الضعف ممّا كان عليه قبل، وفرغ منه ورُفعت الايدى عنه فى ذى الحجّة سنة ١٤٠ وذلك بتيسير الله تعالى على امير المومنين وحُسن رعايته وكفايته، واكرامه له باعظم كرامته، فاعظَمَ الله اجر امير المومنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام، واحسن ثوابه وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة واعزّ نصره وايّده، وحَجّ المنصور فى ذلك العام وأحْرَمَ من الحيرة وبذل على بَحْله الاموال العظيمة واعطى اشراف قريش

للّ منهم الف دينار ذهبًا واعطى اهل المدينة الشريفة عطايا لم يُعْطِها احد كان قبله ولمّا قضى الحجّ والزيارة توجّه الى زيارة بيت المقدس ثم سلك الى الشام ثم الى الرقّة فنزلها ، كذا ذكره الحافظ عمر بن فَهْد رحمه الله تعالى وذكر حكاية مفيدة اذكرها استطراداً وان كانت خارجة من مقصودنا لعظم فايدتها وهي لمّا حَجّ المنصور كان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلّي ولم يعلم به احد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة فيجيء المؤذّنون ويسلّمون عليه ويؤذّنون للفجر ويقيمون الصلاة فيخرج يُصَلّي بالناس فخرج ذات ليلة في السحر وشرع يطوف اذ سمع رجلًا عند الملتزم يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحقّ واهله من الظُّلم والطمع ، فأَسْرَعَ المنصور في مشيته حتى مَلَأَ مَسَامِعَهُ من كلامه ثم خرج من الطواف الى ناحية المسجد ثم ارسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلّى ركعتَيْن وقبّل الحجر واقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتُك تقول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحقّ واهله من الظلم والله لقد حشوتَ مسامعي ما أَقْلَقَني واوحشني واشغل خاطري ، فقال يا امير المومنين ان أَمَّنتني على نفسي واصغيتَ الىّ باذنٍ واعيةٍ انبأتُك بالامور من اصلها والّا احتجبت عنك بقدرة الله تعالى فلا تَصِل الىّ واقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل عن غيري ، فقال انت آمِنٌ على نفسك فقُلْ فانّي القى اليك السَّمْعَ وانا شهيد بالقلب ، فقال ان الذي داخَلَهُ الطمعُ حتى حال بينه وبين الحقّ ومنع من اصلاح ما ظهر من الفساد والبغي في الارض هو انتَ ، فقال ايهما الرجل كيف يُداخلني الطمع والصفراء والبيضاء بيدي

والحُلْو والحامض فى قبضتى ومن يحول بينى وبين ما أُريد من ذلك،
فقال هل داخل الطمع احداً من الناس ما داخلك يا امير المومنين ان
الله عزّ وجلّ استرعاك امور المومنين وانفسهم واموالهم فاغفلتَ امورهم
واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك حِجَابًا من الحجر والطين وابوابًا من
الخشب والحديد وحُجّابًا معهم السلاح واتخذت وُزَرآء فجرة واعوانًا ظلمة
ان نسيتَ لا يذكّرونك وان احسنتَ لا يعينونك وقَوّيتَهم على ظُلْم
النـاس بالاموال والسلاح والرجال وامرتَ ان لا يدخل عليك غيرهم من
الناس ولم تامُر بايصال المظلوم اليك ومنعتَ عن ادخال الملهوف عليك
وحجبت الجايع والعارى والمحتاج عنك وما احد منهم الاّ وله حقٌّ فى هذا
المال فما زال هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيّتك
وامرتهم ان لا يحجبوا عنك يقولون فى انفسهم هذا قد خان الله فما لنا
لا نخونه فاتّفقوا على ان لا يصل اليك من اخبار الناس الا ما ارادوه ولا
يخالف امرهم عامل الا اقصوه عنك وابعدوه فلمّا انتشر ذلك عنك
وعنهم عظمهم الناسُ وهابوهم واكرموهم وهادوهم وكان اوّل مَنْ صانعهم
ودارام عمّالك بالاموال والهدايا والرُّشا فتقوّوا بها على ظلم رعيّتك وتبعَهم
من كان ذا قدرة وثروة من رعيّتك ليظلموا من دونهم فامتلات بلاد الله
تعالى بالظلم والغشم وزاد بَغْيُهم وطمعُهم كثر فسادهم وافسادهم فصار
هولآء شُرَكآءك فى سلطانك وانت غافل فان فَاجَأَك منتظلّم حِيلَ بينه
وبين الوصول اليك وان اراد رفع قصّة اليك وصّرخ بين يَدَيْك ضُرِبَ
ضربًا مُبَرِّحًا ليكون نكالاً لغيره وانت تنظر بعَيْنك ولا ترحم بقلبك
فان سالتهم عنه قالوا اساء الادب فأدّبناه وجهل مقامك فصرفناه فما بقآء
للاسلام على ظهور هذه المظالم والآثام واني سافرت الى ارض الصين فقدمتها

وقد اصابت ملكهم آفة اذهبت سمعه فجعل يبكي فقالت له وزراءه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال اني لا ابكي على فقد سمعي ولكن ابكي على المظلوم يَصْرُخ ببابي يطلب رفع ظلامته فلا اسمع صَوْتَه وحسّه وحيث ذهب سمعي فان بَصَري لم يذهب فنادوا في الناس ان لا يلبس الاحمر الّا مظلوم لأُمَيِّزه بالنظر فأُعينه وكان يركب الفيل كلّ يوم ليَرَى المظلومين ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلامتهم انظُرْ يا مسكين هذا مشركٌ بالله غلبت رأفَتُه بالمشركين على رأفتك بالمومنين وانت مومن بالله وابن عمّ نبيّه صلعم وان الاموال لا تُجْمَع الّا لواحدٍ من ثلاثة امور ان قلّت اجمعها لولدي فقد أراك الله تعالى عبراً في الطفل يخرج من بطن امّه عرياناً ما له على وجه الارض مالٌ وما من مال الّا ودونه يد شحيحة به تحويه وتَصُونه عن كلّ احد فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الغلام حتى يَسُوق الله اليه ما قَدَّره له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره وليست الذي تُعْطى بل الله يُعْطي من يشاء ويمنع من يشاء لا مانِعَ لما اعطى ولا مُعْطي لما مَنَعَ وان قلت اجمع المال ليشتدّ به سلطاني فقد اراك الله تعالى عبراً في من كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضّة وما اعدّوا من السلاح والكُراع وما ضرّك ما كنت انت وولد ابيك عليه من الضعف والقلّة حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي اعلى ممّا انت فيه فوالله ما فوق ما انت فيه منزلة تُدْرَك الا بالعمل الصالح واعلم انك لا تعاقب احداً من رعيّتك اذا عَصَاك بأعظم من القتل فان الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الاليم وانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فكيف يكون وقوفك غدًا بين يَدَيْه وقد نُزِعَ مُلْك الدنيا من يدك ودعاك الى

الحساب هل يُغْنى عنك شيء مما كنت فيه ، قال فبكى المنصور بكاء شديداً حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالى فيما خوّلنى ولم ار من الناس الاّ خائناً ، قال يا امير المومنين عليك بالاعلام الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فانهم قد فرّوا منّى قال نعم فرّوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فاذا فتحت الابواب وسهّلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت بالفضل فانا ضامن لمن هرب منك ان يعود اليك ، وجاء حينئذ المؤذنون وسلّموا عليه واذّنوا للفجر واقاموا فقام المنصور الى الصلاة فصلّى بالناس فاذا بالرجل قد غاب من بين ايديهم فلمّا فرغ المنصور من الصلاة سال عنه فقالوا ذهب فقال ان لم تاتونى به عاقبتكم عقاباً شديداً فذهبوا يلتمسونه فوجدوه فى الطواف فتقدّم اليه الحرسىّ وقال له انطلق معى والاّ هلكتُ وهلكتَ من معى فقال كلا لستُ بذاهب معك فقال انه يقتلنى ان لم آته بك فقال كلا لا يقدر عليك واخرج من جيبه ورقة وقال ضع هذه الورقة فى جيبك فلا يصيبك منه سوء فانه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال دعاء لا يرزقه الله تعالى الا السعداء من دعى به صباحاً ومساء هُدِمَتْ ذنوبه واستُجيب دعاءه وبسّط الله تعالى رزقه عليه واعطاه امله واعانه على عدوّه وكُتِبَ عند الله صديقاً ، فقال اقرأه لى لآخذه عنك واتلقّنه منك فقال قُلْ اللهمّ كما لطفتَ فى عظمتك دون اللطفاء ، وعلوتَ بعظمتك على العُظَماء ، وعلمتَ ما تحت ارضك ، كما علمت ما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسرّ فى علمك ، فانقاد كلّ شيء لعظمتك ، وخضع كلّ ذى سلطان لسلطانك ، وصار امر الدنيا والآخرة كلّه بيدك ، اجعلْ لى من كلّ همّ

امسيْتُ فيه فرجًا ومخرجًا، اللهمّ ان عَفْوَكَ عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى، وسترك على قبيح عملى، اطمعنى ان اسالك ما لا استوجبه منك، فصرْتُ أَدْعُوك امنًا واسالك مستأنسًا، وانك المُحْسن الىّ والى المُسىء الى نفسى فيما بينى وبينك، تتودّد الىّ وانبغّض اليك، ولكن الثّقة بك حمَلتنى على الجُرْءة عليك، فعُدْ بفضلك واحسانك الىّ انك انت التّواب الرحيم، قال فقرانه واخذت الورقة فى جَيْبى واذا بالرّسُل تَسْعَى الىّ تستعجلنى فأتيته فاذا هو جَمْرٌ يتلظّى فلمّا وقع نظره علىّ سكن غَيْظُه وتبسّم وقال لى ويلك اتحسن السحر قلتُ لا والله يا امير المومنين ثم قصصتُ عليه امرى فقال هات الورقة فناولته اياها فاخذها وصار يبكى الى ان بلّ لحيته وامر لى بعشرة الاف درهم ثم قال لى اتعرف الرجل فقلتُ لا قال ذلك الخِضْر عم، قلْتُ واني اروى هذه الحكاية عن والدى الشيخ علاء الدين احمد القادرى الخَرْقانى النّهْروانى الحنفى نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال انبانى بها، الحكاية العزّ عبد العزيز بن النجم عمر بن فَهْد عن والده عن القاضى زين الدين ابى بكر بن الحسين العثمانى المَرَاغى عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزّىّ قال اخبرنا الامام ابو الحسن على بن احمد ابن البخّارى عن الحافظ ابى الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى قال اخبرنا محمد بن ناصر انا المبارك بن عبد الجَبّار انا محمد بن على بن الفتح حدّثنا ابو نصر محمد بن محمد النيسابورى عن ابراهيم بن احمد الخَشّاب ثنا ابو على الحسن بن عبد الله الرازى ثنا المثنّى بن مَسْلَمة القُرَشى قاضى اليمن قال سمعت ابا المهاجر المكّى يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف اخر الليل وساق الحكاية بطولها، قال النجم عمر بن

فَهِد رحمه الله وفى سنة ١٥٨ عزم على الحجّ ابو جعفر المنصور وكان يريد قتل سُفيان الثورىّ رضه فلمّا وصل الى بير مَيْمُون بعث الى الخشّابين فقال لهم ان رايتم سفيان الثورىّ فاصلبوه فجاءوا ونصبوا له الخشب وكان جالسًا بفنآء الكعبة وراسُهُ فى حجر فُضَيْل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عُيَيْنة فقيل له يا ابا عبد الله قُمْ واختفِ ولا تشمت بنا الاعدآء فتقدّم الى استار الكعبة واخذها ثم قال برئتُ منه ان دخلها ابو جعفر وعاد الى مكانه فركب ابو جعفر من بير مَيْمُون فلمّا كان بين الحجُونَيْن سقط عن فرسه فاندقّتْ عُنُقُهُ فمات لوقته فى سابع ذى الحجّة وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه فى احدها ليُعَمّوا قبره عن الناس وسَتَر الله تعالى قسم عبده سفيان رضه ، فانظُرْ الى عباد الله تعالى المخلصين ، وادلالهم على جناب قدس ربّ العالمين ، وكيف حال اهل الدنيا المغرورين ، وكيف تضمحلّ عظمتهم فى عظمة سلطان السلاطين ، وما احقر سلطنة البشر المخلوق من مآء مَهين ، وما اسرع زوال مُلكه وصَيْرورته عبرة للمعتبرين ، ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ، وعظة لمن اراد ان يتذكّر عواقب هذا الاغترار ، ويعلم ان المُلك لله الواحد القهار ، لا شريك له فى الملك ولا ولىّ له من الذُّلّ على الدوام والاستمرار ، والمنصور هو الذى بنى مدينة بغداد وكان مولده سنة ٩٥ ومدّة ملكه اثنتان وعشرون سنة وثلاثة اشهر وعاش اربعًا وستّين سنة وكان راى منامًا يَدُلُّ على قرب اجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحجّ وتوفى كما ذكرنا ☆

وولى بعده الملك والخلافة ولده **ابو عبد الله محمد** ولقبه **المهدى** ثالث من ولى من العبّاسيّين وقام بالبيعة له بمكة لمّا مات ابوه الربيع بن يونس الحاجب واسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر فى بغداد فكتم

الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان المنصور امير المومنين عبدٌ دُعِيَ فأجاب وأُمِرَ فأطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال لقد بُلِيَ رسول الله صلعم بفراق الاحبّة وقد فارقتُ عظيماً، وقلّدت جسيماً، فعند الله احتسبُ امير المومنين، وبه استعين على تقلّد امور المسلمين، ونزل فبايعه الناس واوّل من جمع بين تعزيته وتهنئته ابو دُلامَةَ الشاعر فقال

عيناي واحدة تُرَى مسرورة بامير هما جَذَلى وأُخْرى تَذْرِفُ
تبكي وتضحك تارةً ويَسُوءها ما انكرت ويسرُّها ما تعرفُ
فيَسُوءها موت الخليفة محرماً ويسرُّها ان قام هذا يخلفُ
ما ان رايتُ كما رايت ولا ارى شعراً أُسَرِّحُهُ واخر انتفُ
هذا حَباه الله فضل خلافة ولذاك جنّات النعيم تزخرفُ

وكان المهدى لمّا شبّ ولّاه ابوه على طبرستان والرّى وما يليها فتأدّب وتميّز وجالس العلماء وكان كريمًا مليح الشكل شجاعاً محبًّا للعلماء وكان يقول أَدْخلوا علىّ العلماء والقصّاص واحضروهم عندى فلو لم يكن من حضورهم الّا ردّ المظالم حيناً منهم لكان ذلك خيرًا كثيرًا، وقدم عليه مروان بن ابى حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلمّا وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر بعد شهر نواصله
وما نحن نخشى ان يخيب مسيرنا اليك ولكن أَهْنَأُ البرّ عاجله

فضحك المهدى وقال كم بيت قصيدتك قال سبعون بَيْتًا فامر له بسبعين الف درهم قبل ان يتمّ انشادها وله شعرٌ رقيق لطيف احسن من شعر ابيه واولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولى

ما يكفُّ الناسُ عنّا ما يُبيد الناسُ منّا

انّما قتلهم ان يبشروا ما قد دفنّا
لو سلكنا باطن الار ض لكانوا حيث كنّا
ان ارادوا كشف امرٍ قد سترناه كشفنا ،

ومن نظمه هذا البيت من عدّة ابيات نظمها فى جارية كان يحبّها حبًّا شديدًا

اما يكفيك انك تملكيني وانّ الناس كلّهم عبيدى

وكان المهدى يحبّ الحمام فدخل عليه غياث وكان يروى الحديث فقال رُوِىَ عن ابى هريرة رضه مرفوعًا لا سَبَقَ الّا فى خفٍّ او نَصْلٍ وزاد فيه او جناحٍ ففهم المهدى انه وضع له هذه الزيادة فى حديث رسول الله صلعم فلم يُجِبْهُ بالردّ تأدّبًا وامر له بعشرة الاف درهم فلمّا قام قال المهدى اشهد ان قفاك قفا كذّاب ثمّ امر بذبح ما عنده من الحمام فذُبِحَتْ ذكره غير واحد من علماء الحديث منهم الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى ، وكان نقش خاتم المهدى الله ثقة محمد وبه يومن ، وحكى الربيع قال عُرِضَ على المنصور يومًا خزائن مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر الف عِدْل ثياب خزّ فاخرج منها ثوبًا واحدًا ودعى بالخيّاط وقال فصّل من هذا جُبَّةً لى وجُبَّةً لولدى محمّد المهدى فقال لا يجىء منه جُبَّتان فقال فصّله جُبَّةً وقلنسوة وحمل ان يخرج ثوبًا اخر منها ، فلمّا افضت الخلافة الى ولده محمد المهدى امر بتلك الثياب كلّها بعينها ففرقها جميعا فى عبيده وخدمه فى ساعة واحدة ، وكان جوادًا شجاعًا كثير اللّهو والصّيد الا انه كان يكره الزنادقة ويقتل منهم خلقًا كثيرًا واوصى ابنه الهادى بقتلهم حيث وجدهم ، قال النجم عمر بن فهد فى حوادث سنة ١٩٠ وفيها حجّ امير المومنين المهدى العبّاسى وحمل له الامير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شىء لم يتمّ

لاحد قبله ، ونزل المهدى دار الندوة وجاءه عبيد الله بن عثمان بن
ابراهيم الحجبى فى ساعة خالية نصف النهار فادخل عليه فقال له ان
معى شيئا لم يحمل الى احد قبلك فكشف له عن الحجر الذى فيه
صورة قدمى خليل الله ابراهيم عم وهو الذى يزار الى الآن بمقام ابراهيم
فسر المهدى بذلك وقبله وتمسح به وصب فيه ماء فشربه وارسله الى
اهله واولاده فتمسحوا به وشربوا الماء منه ثم احتمله واعاده الى مقام
ابراهيم واعطاه المهدى جوايز كثيرة واقطعه ضيعاً بوادى نخلة يقال له
ذات الفريع فباعه بعد ذلك بسبعة الاف دينار ، وذكر حجبة الكعبة
للمهدى انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة اثقلتها وخاف على
جدرانها من ثقلها فامر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا
كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عممتها من ثياب
اليمن فجردت الكعبة منها وطلى جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية
والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح الكعبة وصاروا يسكبون قوارير
الغالية الممسكة المطيبة على جدران الكعبة من الجوانب الاربعة وتعلقوا
بالمكرات لئلا تخاط عليها ثياب الكعبة ثم يمسحون الطيب على الكعبة
الى ان استوعبوها ثم كسيت ثلاث كساوى من القباطى والخز والديباج ،
وقسم المهدى فى الحرمين الشريفين اموالاً عظيمة وهى ثلاثون الف الف
درهم وصل بها معه من العراق وثلاثمائة الف دينار وصلت اليه من مصر
ومائتا الف دينار وصلت اليه من اليمن ومائة الف ثوب فرق جميع
ذلك على اهل الحرمين ، واستدعى قاضى مكة يومئذ وهو محمد
الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى وامره ان يشترى دورًا فى
اعلا المسجد ويهدمها ويدخلها فى المسجد الحرام واعدّ لذلك اموالاً

عظيمة فاشترى القاضى جميع ما كان بين المسجد الحرام والمَسْعَى من الدور فما كانت من الصدقات والأَوْقاف اشترى للمستحقّين بدلها دورًا فى فجاج مكة واشترى كلّ ذراع مُكَسَّر فى مثله ممّا دخل فى المسجد بخمسة وعشرين دينارًا وما دخل فى مسيل الوادى بخمسة عشر دينارًا، فكان ممّا دخل فى ذلك الهدم دار الأَزْرَق وهى يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من اعلاه على يمين الخارج من باب بنى شَيْبَةَ وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر الف دينار وكان اكثرها دخل فى المسجد الحرام فى زيادة عبد الله بن الزبير رضه ودخلت ايضًا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية واربعين الف دينار دُفِعَتْ اليها وكانت شارعة على المَسْعَى يومئذ قبل ان يؤخّر المَسْعَى، ودخلت ايضا دار لآل جُبَيْر بن مُطْعِم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهُدِمَ وأُدْخِلَ فى المسجد الحرام وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمَسْعَى حتى استقطعها جعفر البرمكىّ من الرشيد لمّا آلت الخلافة اليه فبناها دارًا ثم صارت الى حمّاد البربرىّ فعمّرها وزيّن باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفُسَيْفساء، قلتُ وتداولت الأَيْدى عليها بعد ذلك الى ان صارت رباطَيْن متلاصقين احدهما كان يُعْرَف برباط المَرَاغى والثانى كان يعرف برباط السِّدْرَة فاستبدلهما السلطان قايتباى فبناهما مدرسة ورباطًا فى سنة ٨٨٣ ووقف عليهما مُسَقَّفات بمكة واقطاعًا بمصر وهو باقٍ الى الآن صدقة جارية على سُكّانه غير انه شرع فى اوقافه للخراب لاستيلاء الايادى الحادثة عليها عمّر الله تعالى من عمّرها واحسن الى من احسن نظرها، وهذه الزيادة الاولى للمهدى فى اعلا المسجد وكذلك فى اسفله الى ان انتهى به الى باب بنى سَهْم ويقال له الآن باب العُمْرة والى باب الخيّاطين

ويقال له الآن باب ابراهيم وكذلك زاد من الجانب الشامى الى منتهاه الآن وكذلك زاد فى الجانب اليمانى ايضًا الى قُبَّة الشراب وتسمّى الآن قُبَّة العبّاس والى حاصل الزيت وكان بين جدر الكعبة اليمانى وجدر المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة واربعون ذراعًا ونصف ذراع وكان ما ورآه مسيل الوادى فهذه الزيادة كلّها الزيادة الاولى للمهدى ، وامر بالاساطين فنُقلت من مصر والشام وحُملت بحرًا الى قرب جُدَّة فى موضع كان فى ايّام الجاهلية ساحلاً لمكّة يقال له الشُّعَيْبة فجُمعت هناك لان مَرْسَاه قريب بخلاف بندر جُدَّة لان مرساه الذى تقف فيه السفينة بعيد عن البرّ ، وصارت اساطين الرخام تُحْمَل منها على العجل الى مكة وتتحاكى العربان ان بها الى الآن بقايا اساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله اعلم بحقيقة ذلك ، وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث حُفِرَ لها فى الارض جدران على شكل الصليب اقاموا كلّ اسطوانة على موضع التقاطع كشف عنه السيل العظيم الواقع فى سنة ٩٣٠ فشاهدنا اساس الاساطين على هذا الوجه ، واستمرّ عليه الى سنة ١٦٤ فحجّ المهدى فى ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست فى وسط المسجد بل فى جانب منه ورأى المسجد قد اتّسع من اعلاه واسفله ومن جانبه الشامى وضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى وكان فى محلّ المسيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد فى بطن الوادى ثم يسلكون زُقَاقًا ضَيِّقًا ثم يصعدون الى الصّفا وكان المَسْعَى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان باب دار محمد بن عبّاد بن جعفر العابدى عند حدّ ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى نحر الوادى فيها علم السّعْى وكان الوادى يمرّ دونها فى بعض المسجد

الحرام اليوم فهدموا اكثر دار محمد بن عبّاد بن جعفر العابدى وجعلوا المسعى والوادى فيهما وكان بعض الوادى من الميل الاخضر الملاصق للمأذنة التى فى الركن الشرقى للمسجد الى الميل الاخضر الاخر الملاصق الآن لرباط العبّاس وكان هذا الوادى مستطيلاً الى اسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل ملاصقاً جدر المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليمانى، فلمّا رأى المهدى تربيع المسجد الحرام لبس على الاستواء وراى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد جمع المهندسين وقال انى اريد ان ازيد فى الجانب اليمانى من المسجد لتكون الكعبة فى وسط المسجد فقالوا له لا يمكن ذلك الا بان تُهْدَمَ البيوت التى على حافّة المسيل فى مقابلة هذا الجدر اليمانى من المسجد ويُنْقَل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل فى المسجد كما قدّمناه ومع ذلك فان وادى ابراهيم له سيول عارمة وهو وادٍ حدورٌ نخاف ان حوّلناه عن مكانه أن لا يثبت اساس البناء فيه على ما نريد من الاستحكام فتذهب به السيول او تعلو السيول فيه فتنصبّ فى المسجد ويلزم هدم دور كثيرة وتكبير المؤنة ولعلّ ذلك لا يتمّ، فقال المهدى لا بُدّ ان ازيد هذه الزيادة ولو انفقت جميع بيوت الاموال وصمّم على ذلك وعظُمَت نيّته واشتدّت رغبته فصار يلهج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على اسطحة الدور من اول الوادى الى آخره وربّعوا المسجد من فوق الاسطحة وطلع المهدى الى جبل ابى قُبَيْس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة الشريفة فى وسط المسجد وراى ما يُهْدَمُ من البيوت ويجعل مسيلاً محلّا للسّعْي وشخّصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا له

ذلك مرّة بعد أُخرى حتى رضي به ثم توجّه الى العراق وخلّف الاموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والتصرّف على هذه العمارة العظيمة وهذه هي الزيادة الثانية للمهدي في المسجد الحرام ، هذا ملخّص ما ذكره الأزرقي والفاكهي والحافظ نجم الدين عمر بن فهد في تواريخهم رحمهم الله تعالى ۞

وهاهنا اشكال عظيم ما رأيت من تعرّض له وهو ان السعي بين الصفا والمروة من الأمور التعبّدية لله أوجبها الله تعالى علينا في ذلك المحلّ المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا في هذا المكان المخصوص الذي سعى رسول الله صلعم فيه وعلى ما ذكره هؤلاء الثقات ادخل ذلك المسعى في الحرم الشريف وحوّل ذلك المسعى الى دار ابن عبّاد كما تقدّم ، واما المكان الذي يُسعى فيه الآن فلا يتحقّق انه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله صلعم أو غيره فكيف يصحّ السعي فيه وقد حُوّل عن محلّه كما ذكره هؤلاء الثقات ، ولعلّ الجواب عن ذلك ان المسعى في عهد رسول الله صلعم كان عريضا وبُنيَتْ تلك الدور بعد ذلك في بعض عرض المسعى القديم فهدمها المهدي وادخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها للسعي فيه ولم يُحوّل تحويلا كُلّيا والّا لا نكره علماء الدين من الأئمة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم مع توفّرهم اذ ذاك ، وكان الامامان ابو يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما والامام مالك بن انس رضه موجودين يومئذ وقد اقرّوا ذلك وسكتوا عليه وكذلك من صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعي واحمد بن حنبل وبقيّة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فكان اجماعا منهم رضهم على صحّة

السّعي من غير تكبير نقل عنهم، وبقي الاشكال في جواز ادخال شيء من المسعى في المسجد كيف يصير ذلك مسجدًا وكيف يصير حال الاعتكاف فيه وحلّه بان يجعل حكم المسعى حكم الطريق العامّ وقال علماءنا يجوز ادخال الطريق في المسجد اذا لم يَضُرّ باصحاب الطريق فيصير مسجدًا ويصحّ الاعتكاف فيه حيث لم يضرّ بمن يَسْعَى فاعلم ذلك وهذا ممّا تفرّدتُ ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه ۞

فصل ومِمّا يُلائم ما نحن فيه من عجيب ما نُقِلَ في التعدّي على المسعى الشريف واغتصابه ما وقع قبل عصرنا هذا بنحو مائة عام في ايام دولة ملوك الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف قايتباى المحمودي سامحه الله تعالى ونُخَصّله انه كان له تاجر يستخدمه قبل سلطنته في زمان امارته اسمه الخواجا شمس الدين محمد بن عمر بن النّرمن كان مقرّبًا منه بعد سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخَيْرِيّته ومآثره الجميلة واعتقاده في العلماء والصلحاء واتّصافه بطلب العلم ايضًا، وكان السلطان قايتباى ارسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليُعَمّر له مدرسته ويعمّر جانبًا من الحرم الشريف ومن الحجر الشريف ومن جوف الكعبة وهو الذي امره بعمارة المسجد الشريف النبوّي بعد الحريق المشهور الواقع في سنة ٨٨٦ وبنى له المدرسة لك بالمدينة الشريفة واجرى العين الزرقاء بالمدينة وعين خُلَيْص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير ان حُبّ الجاه ونفاذ الامر أَوْقَعَهُ فيما نذكره وهو انه كان بين الميلين ميضاة امر بعملها السلطان الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون وكانت في مقابلة باب علي حدّها من الشرق بيوت النّاس ومن الغرب المسعى الشريف ومن

الجنوب مسيل وادى ابراهيم الذى يقال له الآن سوق السيل ومن الشمال دار سيّدنا العبّاس رضه الذى هو الآن رباطٌ يسكنه الفقرآء واستأجر الخواجا شمس الدين ابن الزّمن هذه البيضاة وهدمها وهدم من جانب المسعى مقدار ثلاثة اذرع وحفر اساسه ليبنى بها رباطًا لسكن الفقرآء فمنعه من ذلك قاضى القضاة بمكة علم المسلمين وقاضى الشرع المبين القاضى بُرْهان الدين ابراهيم بن على ابن ظهيرة الشافعى فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضى ابواهيم مَحْضَرًا حافلاً حضره علماء المذاهب الاربعة ومن اجلّهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قُطْلُوبُغَا الحنفى رئيس العلمآء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عُبَيْد المالكى والقاضى علآء الدين الزَّوَاوى الحنبلى وبقية العلمآء المكّيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين ابن الزمن وانكر عليه جميع الحضريين وقالوا له فى وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعًا واحضر النقل من تاريخ الفاكهى وذرعوا من ركن المسجد الى الحلّ الذى وضع فيه ابن الزمن اساسه فكان سبعة وعشرين ذراعًا فقال ابن الزمن المنع خاصٌّ بى او بجميع الناس فقال له القاضى امنعك الآن لانك مباشر فى هذا الحال لهذا الفعل الحرام وآمر الغير ايضًا بازالة تعدّيه وتوجّه القاضى بنفسه الى محلّ الاساس ومنع البنّائين والعمّال من العمل وارسل عرضًا ومحضرًا فيه خطوط العلمآء الى السلطان قايتباى وكتب ابن الزمن ايضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصّب وقيام فى مساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل، فلمّا وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباى نصر ابن الزمن وعزل القاضى ابراهيم وولّى خَصْمَهُ المنْصَبَ وامر امير الحاجّ ان يَضَعَ الاساس على مُراد ابن الزمن ويقف

عليه بنفسه وكان امير الحاجّ يشبك الجمالى فوصل فى موسم سنة ٨٧٥ ووقف بنفسه بالليل واوقد المشاعل وامر البنّائين والعمّال بالبنـاء خوفًا من انكار العامّة عليهم فبنوه الى ان صعدوا به وجه الارض وجعل ابن الزمن ذلك رباطًا وسبيلًا وبنى فى جانبه دارًا وحفر البيضاة جدًّا وجعل لها بابًا من جهة سوق الليل وجعل فى جانب البيضاة مطبخًا تُطْبَخ فيه الدشيشة وتُقْسَم على الفقراء ووقف على ذلك دُورًا بمكة ومزارع بمصر واستمرّت الى ان انقطع ذلك المَطْبَخ فى عهدنا وبيعت القدور بل الدور وبالله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه من فضله وخَيْرِيّته كيف ارتكب هذا المحرّم باجماع المسلمين طالبًا به الثواب وكيف تعصّب له سلطان عصره الملك الاشرف قايتبـاى مع انه احسن ملوك الجراكسة عقـلًا ودينًا وخيرية وهو يامر بفعل هذا الامر المجمع على حُرمته فى مشعر من مشاعر الله تعـالى وكيف يعزل قاضى الشرع الشريف لكونه نَهَى عن مُنْكَرٍ ظاهِرِ الانْكَارِ فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم ، وابين هذا عمّا يُحْكَى عن انوشروان العادل وهو من اهل اللفر لمّا اراد المهندسون تسوية ايوانه بادخال قطعة ارض لعجوز بعد ان بذلوا لها اضعاف ثمن ارضها فأَبَتْ فامر بعدم التعرّض لارضهـا فبقى فى ايوانه ازورارٌ بسبب ذلك فقال هذا الازورار خير من الاستقامة وصـار ذلك مثلًا يُذْكَرُ بعد الوف من السنين

وانّما المرء حديثٌ بعده فكُنْ حديثًا حسنًا لِمَنْ رَوَى ،

فصل قال الحافظ نجم الدين ابن فَهْد فى حوادث سنة ١٦٧ ما مُلَخَّصُه فيهـا هُدِمَت الدور التى اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثـانية للمهدى فهدموا اكثر دار محمد بن عبّـاد وجعلوا المَسْعَى

والوادى فيها وهدموا ما بين الصّفا والوادى من الدور وحرفوا الوادى
فى موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادى القديم فى الاجياد
الكبير وهو الآن الطريق الذى يمرّ منه الى دور السادة الاشراف امراء
مكة المشرفة عمّر الله بهم البلاد، وازال بوجودهم موادّ الفتنة والفساد،
وابتدأوا من باب بنى هاشم من اعلا المسجد ويقال له الآن باب علىّ
رضه ووسّع المسجد منه الى اسفل المسجد وجُعِلَ فى مقابلة هذا الباب
بابٌ فى المسجد يعرف الان بباب حَزْوَرَة ويحرّفونه العوامّ ويسمّونه باب
عَزْوَرَة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادى ودخل الى المسجد خرج
من هذا الباب الى اسفل مكة فاذا طفح عن ذلك خرج من باب
الخيّاطين ايضًا ويُسَمّى الآن باب ابراهيم فيمرّ السيل ولا يَصِلُ الى جدار
الكعبة الشريفة من الجانب اليمانى فكان من جدر الكعبة الى الجدر اليمانى
من المسجد المتّصل بالوادى تسعة واربعون ذراعًا ونصف ذراع، فلمّا
زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من جدر المسجد أوّلًا الى الجدر
الذى عمل آخرًا وهو باقٍ الى اليوم تسعون ذراعًا فاتّسع المسجد غاية
الاتّساع، وأُدْخِلَ فى قرب الركن اليمانى من المسجد فى اسفله دار أمّ
هانى بنت ابى طالب رضى الله عنها ويقال الآن للباب الذى فُتح هناك
باب أمّ هانى لان دارها رضها كانت بقرب ذلك الباب داخل المسجد
الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد شرفاء مكّة ساداتنا
امراء مكة المشرفة آل الحسن بن على بن ابى طالب رضهم وكانت عند
دار امّ هانى رضها ببير جاهلية حفرها قُصَىّ بن كلاب احد اجداد
النبىّ صلعم فأُدْخلت تلك البير ايضًا فى المسجد الحرام وحفر المهدى
عوضها بيرًا خارج باب الحَزْوَرة يُغَسّلون عندها الموتى من الفقراء الى

الآن ، ومن ابواب المسجد الحرام من اسفله باب بنى سَلْم يُعْرَف الآن بباب العُمْرة لان المعتمرين من التَّنْعيم يدخلون منه الى المسجد من اعلا مكّة كما هو السُّنّة الشريفة ، وسيأتى ذكر بقية ابواب المسجد عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمنية خلّد الله مُلك سلاطينها الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى ، واستمرّ البُناة والمهندسون فى بناء هذه الزيادة ووضع الاعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب السلج المنقّش بالألْوان نقرًا فى نفس الخشب كما ادركناه وكان فى غاية الزخرفة والاحكام باقيًا فيه لون اللازورد فى غاية الصفاء والرَّوْنَق بالنسبة الى لازورد هذا الزمان واستمرّ عملهم المذكور الى ان توفى المهدى رحمه الله تعالى لثمان بقين من المحرّم سنة ١٦٩ قبل ان تتمّ عمارة المسجد الحرام على الوجه الذى اراده وكان مولده فى جمادى الاخرة سنة ١٢٧ ومدّة ملكه احدى عشرة سنة وشهرًا وعاش ثلاثًا واربعين سنة وعقب الامر لولده موسى الهادى ☆

فصل فى ولاية ابى محمد موسى الهادى بن المهدى بن المنصور العبّاسىّ ، وُلد بالرَّىّ فى سنة ١٤٧ وأُمّه أُمّ ولد تُسَمّى الخَيْزُران والدة هارون الرشيد وكان حين موت والده بجُرْجان وقد عهد له ابوه بالخلافة فاخذ له البيعة اخوه هارون الرشيد لمّا مات ابوه لثمان بقين من شهر المحرّم سنة ١٦٩ ولم يل الخلافة قبله احد فى مقدار سنّه وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد لما بويع له بالخلافة وما ركبها خليفة غيره وكان طويلًا جسيمًا ابيض بشفته العليا تقلُّص فيكثر لذلك فتح فه ويغفل عن ذلك فيستمرّ فه مفتوحًا فوكّل به ابوه فى حال صباه خادمًا كلّما رآه مفتوح الفم قال له موسى اطْبَقْ فيفيق على نفسه ويضمّ شفتيه

فلقّبه النـاس موسى اطبق فعُرف بهذا اللقب ، وكان وصّاه ابوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقًا كثيرًا وكان شجاعًا كريمًا يعجبه المدح دخل عليه مروان بن ابى حفصة فانشده قصيدة فى مدحه فلمّا بلغ الى قوله

تشابَهَ يومًا باسه ونَوالُه فما احد يَدْرى لايّهما الفَضْلُ

قال له الهادى قبل ان يتمّها ايّما أَحَبُّ اليك ثلاثون الفًا مُعَجَّلة او سبعون الفًا مُؤَجَّلة فقال بل ثلاثون الفًا معجّلة قال بل جعلنا لك المعجّل والمؤجّل ثم قال بل عجّلنا لك بهما وامر له بماية الف ، وقد مدحه ابراهيم الموصلى بقصيدة اوّلها

سُلَيْمَى أَزْمَعَت بَيْنًا فَأَيْنَ لقاؤنا أَيْنًا

فاعطاه سبعماية الف درهم ، وكان اكمال المسجد الحرام اوّل شىء امر به الهادى وبادر الموكّلون بذلك الى اتمامه وكمّلوه الى ان اتّصل بعمارة المهدى وبنوا بعض اساطين الحرم الشريف من جانب باب امّ هانى بالحجارة ثم طُلِيَت بالجصّ وكان العمل فى خلافة الهادى دون العمل فى خلافة المهدى فى الاستحكام والزينة والاهتمام ولكن كملت عمارة المسجد الحرام على هذا الوجه الذى كان باقيًا الى هذه الايام وما زِيدَ بعد ذلك الا الزيادتان كما نشرحهما ان شاء الله تعالى ، وهذه الاساطين الرخام جلبها المهدى من بلاد مصر والشام واكثرها مجلوب من بلاد اخْمِيم من اعمال مصر وهى بلدة خرابٌ الآن من بُلْدان اقليم مصر القديمة كثيرة الرخام تجلب منها الى مصر والى غيرها من البُلْدان الرخام العظيمة والاعمدة اللطيفة المخروطة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان اكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله تعالى اعلم ، ولم تطل مدّة موسى الهادى وكانت مدّة ملكه سنة وشهرًا وتوفّى شابًّا عمره

اربع وعشرون سنة في منتصف ربيع الاول سنة ١٧٠ واختلف في سبب موته فقيل انه دفع نديماً له فتعلّق به فوقعا معاً في مَقْصَبة فدخل القصب في مخارجهما فماتا جميعاً وقيل بل قتلته أُمُّهُ الخَيْزُران لانه عمل على قتلها واراد قتل اخيه هارون الرشيد ليولي العهد ولدًا صغيرًا من اولاده عمره عشر سنين ، وكانت أُمُّه الخيزران قد استبدّت بالامور العظام وكانت المواكبُ تقِفُ على بابها فزجرها الهادي عن ذلك وقال لها ان وقف امير على بابك ضربتُ عنقه اما لك مَغْزَل يشغلك او مُصْحف او سُبْحة تذكرك فقامت من عنده غضبى فبعثت اليها طعاماً مسمومًا فاطعمَتْه للبب فانتثر لحمه فعلمت على قتله لما وعك وامرت جَواريها بان تغمّر وجهَهُ ببساط جَلَسْنَ على جوانبه فانسدّ نفسه الى ان مات رحمة الله عليه ☆

وولي الخلافة بعده بعهد من ابيه اخوه هارون الرشيد العبّاسي الخامس من العبّاسيّين ليلة السبت لاربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ١٧٠ ومولده في الرّيّ لما كان ابوه المهدى اميرًا عليها وعلى خراسان في سنة ١٣٨ وأُمُّه الخَيْزُران امّ الهادي وفيها قال مروان بن ابي حفصة الشاعر

يا خيزران هناكِ ثم هناكِ امسى يَسُوس العالمين ابناك

وكان فصيحًا بليغًا اديبًا كثير العبادة كثير الحجّ والغزو وفي ذلك يقول بعض شعرائه

فمن يطلب لقاءك او يرده ففي الحرمَيْن او اقصى الثغور ،

وكان يحجّ عامًا ويغزو عامًا وقد جمع بينهما في عام واحد وكان يصلّي في خلافته كل يوم مايتة ركعة لا يتركها الاّ لعلّة ويتصدّق كلّ يوم بالف درهم

ويحبّ العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام ، وبلغه عن بشر المريسيّ انه كان يقول بخلق القرآن فقال لإن ظفرت به لاضربنّ عنقه وكان باتى بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض رضه ويعظمه وكان يبكى على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام ابو يوسف رضه وكان يعظمه كثيرًا ويمتثل امره ، ويُروى عن ابى معاوية الضرير قال اكلتُ مع الرشيد يومًا ثم صبّ على يدىّ من لا اعرفه فقال لى الرشيد اتدرى من يَصُبّ عليك قلتُ لا قال انا اجلالاً للعلم ، واراد الرشيد ان يوصل بين بحر الروم والقُلزُم لينتهيّاً له ان يغزوَ الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكىّ لو فعلتَ ذلك دخلت سفاين الروم ارض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه ، وكانت ايّام الرشيد ايّام خير كانها اعراس وله اخبار فى اللّهو واللّذّات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تُحْصَى ومحاسن لا تُستَقْصَى واسند الصولى عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد فى السنة التى ولى فيها الخلافة الى اطراف الروم فغزا اهلها وظفر وعاد فحجّ بالناس آخر السنة وفرّق بالحرمَيْن مالاً كثيرًا وكان راى النبىّ صلعم فى النوم فقال له ان هذا الامر قد صار اليك فى هذا الشهر فاغزُ وحجّ ووسّع على اهل الحرمَيْن ففعل هذا كلّه فى عام واحد اول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطى وغيره ، قال الحافظ النجم عمر ابن فهد رحمه الله فى حوادث سنة ١٧٠ فيها حجّ هارون الرشيد بالناس وفرّق مالاً كثيرًا وكان حجّه ماشيًا على اللّبود تُفرَش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجّة التى حجّ فيها ماشيًا هى حجّته فى سنة ١٧٧ ، قال وفى بعض حجّات هارون الرشيد اخلى له المَسْعَى ليَسْعَى فيه فتعلّق بعقاله وهو يَسْعَى ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن

الخطّاب رضه فوقف له هارون واقبل عليه فصاح به يا هارون قال لبّيك يا عمّ قال ارْقَ الى الصفا فلمّا رقاه قال آمرٌ بطرفك الى البيت قال قد فعلت فقال كم ثم يعني الحجيج قال ومن يُحْصيهم الّا الله تعالى قال فاعْلَمْ ايها الرجل ان كلّ واحد من هذه الخلايق يُحاسَبُ عن خاصّة نفسه ويُسْأل عنها وَحْدها يوم القيامة واما انت وَحْدك فتُسْأل عنهم اجمعين فانظُرْ كيف جوابك حين تُسْأل عنهم يوم القيامة، فبكى هارون بكاء شديداً وجلس وخدمته يعطونه منديلاً بعد منديل وهو يَبُلُّها بدموعه، فقال له وأُخْرَى أقُولُها لك قال قُلْ يا عمّ فقال ان الرجل اذا اساء التصرُّف في ماله حُجِرَ عليه فكيف تسرف انت في مال المسلمين وتَسيء التصرُّف فيه وانت تحاسَبُ بين يدي الله عزّ وجلّ على جميع ذلك فازداد بكاءه وكثر نحيبه واراد جنده ان يطردوا الرجل عنه فكفّهم عنه الى ان فرغ من نصايحه كلّها وقام عنه بنفسه وهارون يبكي ويتضرّع ويستغفر ☆

فصل وفي اثناء دولة الرشيد قدمت الخَيْزُران أمّ الرشيد والهادي الى مكة قبل الحجّ في سنة ١٧١ واقامت الى ان حجّت وعملت الخيرات واشترت دوراً بالصفا الى جانب دار الأرْقَم المخزومي لله تشتمل على مساجد ماثور يقال له المختبا لان النبيّ صلعم كان يدعو فيه الى الاسلام خفية من صولة المشركين في اول البعث واسلم فيه جماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم، ولمّا اسلم فيه عمر بن الخطّاب رضه اظهر الاسلام وفيه الآن قُبّة ومزار تُسَمّى قبّة الوَحْي وهذه الدور لله اشترتها الخيزران متّصلة بهذا المزار الشريف وتسمّى الآن دار الخيزران وكانت قد آلت الى بعض السادة الاشراف من بني حسن ثم اشتراها صاحبنا

المرحوم المغفور المبرور، المحسن المشكور، الامير المأمور، باجراء عين عرفة الى بلد الله المعمور، الباذل نفسه واملاكه واولاده فى سبيل الله طلبًا لنيل المثوبات والاجور، دفتردار مصر سابقًا صاحب اللواء المنشور المنصور، السلطانى السعيد الشهيد المشهور، المذكور بالاحسان الى يوم النشور، ابراهيم بيك ابن تغرى بردى المهمندار، اسكنه الله تعالى فى دار القرار، جنّات عدن تجرى من تحتها الانهار، ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب چلبى افندى ناظر الصدقات السليمية لحضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذى الخلق الحليم، والطبع الكريم، المرحوم المغفور السلطان سليم، نقله الله تعالى الى جنّات النعيم، وملكه ملكًا اعظم من ملكه العظيم، فلكها وهو شاه زاده يومئذ قبل ان يلى تخت السلطنة العظمى ففرح بها كثيرًا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشى فيها عمايز وخيرات وجهات، تصرف الى فقراء تلك الجهات، فلم يقدر على ذلك وزاحمته امور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار، وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان لمجابر، ولا ساعده الدهر لمغادر الغابر، ولكن حصل له ثواب ما نواه من الخيرات، فالاعمال بالنيّات، وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين، فصارت هذه الدار الآن، من املاك ملك العصر والزمان، سلطان سلاطين الدهر فى هذا الاوان، الى منتهى الدوران، صاحب تخت السعادة والاسعاد، وارث سرير الملك من الآباء والاجداد، السلطان الاعظم الاكرم السلطان مُراد، خلّد الله تعالى ايّام سلطنته القاهرة الباهرة الى يوم الحشر والتناد، والهمه العدل فى الرعيّة لاحياء رسوم العدلة بين العباد، قلت ولم اطلع للرشيد مع كثرة خيراته على انه عمّر فى ايّامه شيئًا من المساجد

للحرام غير ان عامله بمصر موسى بن عيسى الهدى الى مكة المشرفة منبرًا منقوشًا مكلّفًا له تسع درجات فجُعِلَ فى المسجد الحرام وأُخِذَ المنبر القديم الذى كان يخطب عليه بمكة ووُضِعَ فى عرفة وذلك فى اول حجّات الرشيد فى سنة ١٧٠ وقيل فى سنة ١٧٤ من الهجرة ووصل الى مكة المشرفة منبر صغير له ثلاث درجات ووُضِعَ فى وجه البيت الشريف فخطب عليه معاوية بن ابى سفيان وهو اول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفآء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قيامًا على اقدامهم فى وجه الكعبة وفى الحِجْر، قال ابو الوليد الازرقى حدثنى جدّى عن عبد الرحمن بن حسن عن ابيه قال اول من خطب بمكة على مِنْبَرٍ معاويةُ بن ابى سفيان وساق ما قدّمناه فى ذلك ثم قال وذلك المنبر الذى جاء به معاوية ربّما خُرِبَ فيُعمر ولا يزاد فيه حتى حجّ الرشيد فأُتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لم يُغَيَّر الى ايام الواثق بالله العبّاسى فاراد ان يحجّ فامر ان يُعْمَل له ثلاثة منابر منبر بمكة ومنبر بمنى ومنبر بعرفات وحجّ وخطب عليها وفرّق فى الحرمَيْن على اهلهما مالاً كثيرًا، وفى أيّامنا الله ادركناها من الشباب الى المشيب شاهدنا منابر عملها سلاطين عصرنا وسنذكرها فى محلّها ان شآء الله تعالى ☆

فصل اعلم ان ممّا يتحقّقه العاقل ولا يذهل عنه الا الابلة ان الدنيا دار الاكدار ومحلّ الهموم والغموم والحسرات وان أَخَفَّ الخلق بلآء وأَلَمًا الفقرآء واعظم الناس تعبًا وهمًّا وغمًّا هم الملوك والامرآء والكبرآء ويقال لكلّ شبر قامة من الهمّ وقيل

لقد قنعت هِمّتى بالخمول وصدّت عن الرُّتَب العاليه
وما جهلت طيب طعم العُلا ولكنّها توثر العافيه ،

وايضا بقدر الصعود يكون الهبوط فاياك الرُّتَب العاليه

وكن فى مقام اذا ما وقعت تقوم ورِجْلاك فى عافيه ،

وطالما رضيت الملوك والسلاطين ، بحال الفقرآء والضعفآء والمساكين ،

فى كلّ بيت كُرْبة ومُصيبة ولعلّ بيتك ان رايتَ أَقَلُّها

فَارْضَ بحال فقرك ، واشكر الله تعالى على خفّة ظهرك ، ولا تنفذ طورك ، وقِفْ عند قدرك ، تجد ذلك نعمةً خفية ساقها الله تعالى اليك ، ورأفةً ورحمة افاضها الله تعالى من خزاين لطفه عليك ، فاعتبرْ بهذه اللمحات ، وخُذْ لنفسك حَظًّا وافرًا من هذه العظات ، ومن ذلك ان هارون الرشيد من اعقل الخلفآء العبّاسيّين واكملهم رايًا وتدبيرًا وفِطْنة وقوّة واتّساع مملكة وكثرة خزاين بحيث كان يقول للسحابة أمطرى حيث شِئْتِ فان خراج الارض التى تمطرى فيها يجيء الىّ ، ومع ذلك كان انعبهم خاطرًا واشتّهم فكرًا واشغلهم قلبًا ، وكان من اولاده محمد الامين ابن زُبَيْدة بنت ابى جعفر المنصور ،

تقسيم الرشيد مملكته بين ولديه الامين والمامون ، وكانت زُبَيْدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرّف فيه كيف ارادت وكان ولده منها محمد الامين شديد النزف والدلال كثير اللّهو واللعب مغلوبًا على عقله لا يصلح للملك ولا يستحقّ للخلافة ، وولده الثانى من جارية سوداء اسمها مَرَاجل من جوارى المطبخ ماتت فى نفاسها عن عبد الله المامون اتمّ عقلًا واكمل رايًا واصحّ تدبيرًا واكثر فضلًا ومَعْرفة فيه صلاحٌ لتدبير الملك واهله لان يكون خلفًا عن ابيه فى خلافته وما قدر ابوه ان يجعله ولىّ عهده بعد محافظته على خاطر زبيدة على ذلك فجعل محمد الامين ولىّ عهده فى سنة ١٧٥ ولقّبه الامين وعمره يومئذ خمس سنين بحِرْص

امّه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المامون ولىّ العهد بعد محمد الامين فى سنة ١٨٢ وولاه ممالك خراسان بأسرها وعهد الى ولده الثالث فى سنة ١٨١ وولاه الجزيرة والثغور وهو صبىّ ولقّبه المؤتمن وقسم مملكته بين هذه الثلاثة فقالت العقلآء لقد القى بينهم واضرّ الرعيّة بهم قال عبد الملك بن صالح

الا قلّد هارون خلافته لما اصطفاه فاحيى الدين والسُّنَنا
وقدّم الامر هارون لرأفته بنا امينـاً ومامـوناً ومُـؤتَمـنـا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه امّيًّا فاراد الله تعالى خلاف ما اراده الرشيد وقُتل محمد الامين على يد عبد الله المامون وصارت الخلافة بعد المامون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلفآء كلّهم من نَسْله ولم يجعلهم من نسل غيره من اولاد الرشيد وان الملك بيد الله يوتيه من يشآء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وامرهم بمبايعة اولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدًا مُحْكَمًا وكتابًا مُبْرَمًا وَضَعَ الاعيانُ والاكابر والاركان والامرآء والكبرآء خطوطهم عليه وجهّز الى بيت الله تعالى وامر بتعليقه فى وسط الكعبة الشريفة ليشتدّ الوثوق به ولا يقع خلاف فى ذلك قال ابراهيم الموصلى

خير الامور معيّنةً واحقُّ أمرٍ بالتمـام
امرٌ قضى احكامه مولاى فى البيت الحرام

فلم يُغن عن ذلك التدبير عمّا رَقَمَهُ قلم التقدير فى لوح المقادير والله على كلّ شىء قدير

ولو كانت الدنيا تنال بغبطة وتدبير راى نيل اعلا المراتب

ولكنما الاقدارُ تجرى بقدرة من الله لا تجدى تدابير طالب ٥

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى ذكر محمد بن الصَّبَّاح الطبرى ان اباه شيّع الرشيد من خراسان الى النهروان فجعل يحادثه فى الطريق ويشكو الرشيد همومه ويتنفّس عنده نفثات الصدور الى ان قال له يا صَبَّاح اظنّك لا ترانى بعد هذا فقلت بل يطيل الله عمر امير المومنين ونُفديه بأرواحنا ويعيش سالمًا من الآفات فقال انك لا تدرى ما آجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أُريك ما أُخْفيه عن غيرك وتنحّى عن الطريق وأَومَى الى من معه بالتنحّى عنه فابعَدَ عنهم وهم يَرْمقونه بطرفٍ خفيّ ثم قال امانة الله يا صَبَّاح اكتم امرى فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير عريض معصوبة على بطنه فقال هذه علّة اكتُمُها عن كلّ احد وحولى رُقَباءُ وكلُّ واحد من اولادى يَعُدُّون انفاسى علىّ فَسُرُورُ رقيبُ المامون وجبريل بن بَخْتيشوع رقيب الامين وفلان وعدّ ثالثًا أَنْسَيْتُه رقيب المومن وكلٌّ منهم يُحْصِى ايّامى وساعاتى ويستطيل عمرى وحياتى ويظهر ذلك الآن منهم فانى أَطْلب منهم بُرْذَونًا لركوبى فيماتونى به اخفَّ ضعيفًا يزيد فى علّتى ويضاعف علىّ مرضى ٥ ثم طلب منهم برذونًا لركوبه فاتوه ببرذونٍ عاجزٍ منقطعٍ يتعب راكبه كما ذكره وهو يُداريهم ويَصْبر على ما يُكابده منهم فنظر الىّ نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبّلتُ رجله وودّعتُه وفارقتُه وهم ينظرون الىّ نظرة خُفْتُ عاقبتها وكفانى الله تعالى شرّهم ٥ واستمرّ الرشيد عليلًا الى ان بلغنى وفاته بطوس رحمه الله تعالى ٥ فانظُرْ الى هذا الملك الجليل، والخليفة النبيه النبيل، والسلطان الذى قلّ ان يُوجَد له مثيل، وهو عاجز فى يد غلمانه، مغلوب عليه فى ملكه وسلطانه، مُتَحَسِّرٌ على عظم

شانه، متأسّف على علوّ مكانه، بيده خزاين الارض ولا يملك منها نقيرًا ولا قطميرًا، ولا يقدر على شيء وكان ربّك قديرًا، ولما جرّت المنيّة مُوسَى الجسام على هارون، ومزّقت ثياب رُشْد الرشيد مَخالب المَنُون، وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان، وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان، وحنّطته بحنوط اعماله، وادرجته في اكفان خصاله وجلاله، ونقلته من سرير السعود، الى خُدود اللُّحود، فمضى كأنّ لم يكن شيئًا مذكورًا، وكان امرُ الله قدرًا مقدورًا، وقد حكى ان الرشيد كان راى منامًا انه يموت بطُوس فلمّا وصل الى طوس وقد غلب عليه الوَهَك عرف انه ميّت فبكى واختار لنفسه مدفنًا وقال احفروا لى قبرًا في هذا المحلّ فحفروا له فقال قرّبونى الى شفيره فحملوه في قبّة الى ان نظر الى القبر فسَالَتْ عَبْرَتُه، وزادَتْ عِبْرَتُه، وقال يا ابن آدم الى هذا تصير، ولا بُدّ من هذا المصير، وامر ان ينزل الى لحده من يقرا ختمة فسبه ففعلوا ذلك فمات وصلّى عليه ابنه صالح والْحِدَ في القبر بطوس لثلاث مضين من جمادى الاخرة سنة ١٩٣ وتقدّم ان مولده بالرَّيّ سنة ١٤٨ وكانت مدّة مُلْكه ثلاثًا وعشرين سنة وشهرين ونصف شهر رحمه الله تعالى ❁

فصل لمّا توفّى الرشيد ولى الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة ابيض فصيحًا جميلاً بليغًا سَيِّئ التدبير كثير التبذير ضعيف الراى أرْعَن لا يَصْغى الى قول المشير ولمّا ولى الخلافة اتّخذ اللّهْوَ شعارا، وشرب الخمر خمارا، وخلع العِذار في العَذارا، واشترى غريب المغنّية بماية الف دينار واخذ جارية ابن عمّه ابراهيم بن المهدى بعشرين الف الف دينار وعزل اخاه المؤتمن وخلع اخاه المامون وارسل الى الكعبة

المعظمة من جاءه بصحيفة عهد والده له ولاخويه فمزقها وعهد الى ولد
له رضيع سمّاه الناطق بالحقّ ودعى له على المنابر ، ومن نصح الامين
ومنعه عن هذا الغدر والنكث خازم بن خُزَيْمة فقال له يا امير المومنين
لن ينصحك من كذبك ولن يغشّك من صدقك واني انصحك
واصدقك ولا اكذب فى نصحك لا تجرّى الفُواد على الخلع فيخلعوك ولا
تحملهم على نكث العهد فينكثون عهدك وان الغَدْر شُؤمٌ والناكث
منكوب وصاحب الحقّ مظلوم وجَرَت العادة بنَصْر المظلوم ووجّهت
القلوب اليه ورقّت النفوس له ولذلك تأثيرٌ فى الظاهر والبواطن ، فأبَى
الامين ذلك منه ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمّم على ذلك اشدّ
تصميم وارسل جيشًا مع على بن عيسى على اخيه المامون عدّتهم
اربعون الفًا وارسل المامون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه اربعة الاف
مقاتل فانهزم علىّ بن عيسى وقُتل وذُبح وتشتّت عساكره وجاء طاهر
ابن الحسين براسه الى المامون وكم من فيّة قليلة غلبت فيّة كثيرة باذن
الله فقوى قلب المامون بذلك وكثر اتباعُه ومال النّاسُ اليه فجمع
الجموع وسار الى بغداد لقتال اخيه الامين ولا زال امرُ المامون يحسن
بحُسْن تدبيره وانتثيال النّاس اليه ويضعف امرُ الامين لكثرة لَهْوه
وتقصيره ونفور القلوب عنه الى ان حُصِرَ فى بغداد وتفرّقت عنه جنودُه
وهربوا منه الى المامون كلُّ ذلك والامين فى لَهْوه وغفلته ولعبه مع نسائه
بحضرته واحتجابه عن اهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل
بغداد فجاء مسرورٌ الخادم الى الامين وهو فى جنب حوض ماء مع جَوَاريه
يصيد معهنّ السمك فى ذلك الحوض وكان وضع فى انف كلّ سمكة دُرّةً
نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكلُّ من صادت من جواريه سمكة كانت

الدُّرَّة لله فى انفها لصايدتهما فرفع الامين راسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد تنبّه لذاتك فقال اليك عنّى ودعنى فان الجارية فلانة صادت مُشَنَّقَتَيْن وانا ما صدتُ شيئًا فرجع مسرور باهتًا واذا بالجنود قد احاطوا بدار الخلافة ونهبوها وامسك طاهر ابن الحسين الامين بيده وحبسه فلمّا شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر ابن الحسين يا طاهر اعلم انه ما قام لنا قائمٌ قط فكان جزآءه عندنا الا السيف فانظُرْ لنفسك او دَعْ يَأْتِ بابى مسلم الخراسانى وبامتثاله الذين بذلوا اموالهم فى قيام الدولة فكان مالهم الى القتل وهذه عادة الله تعالى فى من ذكر من مُقيمى الدول كمروان بن سعيد اقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وابى مسلم الخراسانى المذكور اقام دولة السَّفّاح العبّاسى فقتله المنصور وكعبد الله القايم بدولة العُبَيْدِيّين قتله عبيد الله المهدى وامثال ذلك كثيرة فاثّرت هذه اللطمات فى قلب طاهر وصار يحذر منها الى ان كان اخره قتله بيد المامون ولمّا راى طاهر بن الحسين بعد الاستيلآء على الامين وحبسه عدم سكون الفتنة ادخل عجمًا لا يعرفون اللسان على الامين وامرهم بقتله فقتلوه فأخذ براسه وطيف به فى مدينة بغداد ونُودى عليه هذا راس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وكان ذلك فى المحرّم سنة ١٩٨ قال محمد بن راشد رحمه الله تعالى اخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لمّا حُوصر قال فطلبنى فى ليلة مقمرة فجيئته فقال ما ترى فى حُسن هذه الليلة وضَوْء هذا القمر فاشربْ معى نبيذًا فقلتُ نعم فسقانى ثم طلب جارية تغنّيه فجآءت جارية اسمها ضعف فتطيّرتُ منها وغنّت ببيت النابغة الجَعْدى

كُلَيْبٌ لعمرى كان اكثر ناصرًا وأيسَرَ ذنْبًا منك ضُرِّجَ بالدَّم

فتطيّر من ذلك وقال غنّى غير هذا فغنّت

ابكى فراقهم عينى فأرّقها ان التفرّق للاحباب بكّاء

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عدّاء

فقال لها لعنك الله اما تعرفين غير هذا فقالت

اما وربّ السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء فى الفلك

الا لتنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك

وملك ذى العرش دايم ابداً ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فقامت فعثرت بكاس بلّور فكسرته فازداد تطيّره وقال يا ابراهيم ما اظنّ امرى الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشارع قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقام مغتمًّا ونمت عنه فأُخذ بعد ليلتين وقُتل تجاوز الله تعالى عنه. وعظم قتل الامين على المامون وكان يريد ان يوسل به طاهر بن الحسين اليه حيًّا ليرى رأيه فيه فحقد بذلك على طاهر حتى عاش طريداً بعيداً وآل امره الى ما آل

فصل لمّا تمّ على الامين ما تمّ وكان ذلك على امّه زبيدة اشدّ مأتم آل الملك الى عبد الله المامون بعد قتل اخيه فى سنة ١٩٨ وكان من اتمّ رجال بنى العبّاس حزمًا وعزمًا وعلمًا وحلمًا وفراسة وفهمًا وسمع الحديث على جماعة وتأدّب وتفقّه وبرع فى فنون التاريخ والادب وممّا كبّر اعتنى بالفلسفة وعلوم الاوّل فصلّ واضلّ وامتحن النساس بالقول بخلق القران ولولا ذلك لكان يُعدّ من اكمل الخلفاء وكان يُضرب المثل بحلمه. ومن انصافه انه راى ان آل النبىّ صلعم احقّ بالخلافة من غيرهم وهمّ بخلع نفسه وتفويض الامر الى على بن موسى الكاظم وهو الذى لقّبه

بالرِّضَى وضرب الدراهم والدنانير باسمه وزوّجه ابنته وامر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولىّ عهده فى الخلافة فاشتدّ ذلك على بنى العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدى ولقّبوه المبارك فسار المامون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المامون فى صفر سنة ٢٠٤ وتوفى الامام على بن موسى الرضى فى سنة ٢٠٣ وأسف عليه المامون واراد اقامة غيره فذكر الصولى رحمه الله تعالى ان بعض اصحابه قال له انك فى برّك بأولاد على بن ابى طالب كرّم الله وجهه والامر فيك اقدر على برّهم والامر فيهم وكلّمه العبّاسيّون فى اعادة لبس السواد فأبى فكرّروا عليه ذلك الى ان اجابهم الى ذلك واعاد شعار السواد وكان كثير الجهاد وهو الذى افتتح قبره حصار وكان كثير العبادة قيل انه ختم فى شهر رمضان ثلاثة وثلاثين ختمة وكان العلماء محبوسين فى ايامه بحبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله تعالى ويقال ان سبب موته انه اشتهى اكل سمكة تُدْعَى الرعادة ان لمسها احدٌ اخذته النفاضة من ساعته لشدّة بردها فاكل منها فمات لوقته، وما آمن المامون، من اظفار ريب المنون، ونقل من المُلك الى الهُلك جسمُهُ المَصُون، ووراه التراب، عن الاحباب، وسالت عليه العيون، ورجع الى ربه الكريم فانا لله وانا اليه راجعون، وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ بارض الروم ودُفن بطَرْسُوس وفيه قال ابن سعيد المخزومى

هل رايت النجوم اغنت عن المأ مون او عزّ ملكه الماسوس
خلّفوه بعرصتى طرسوس مثل ما خلّفوا اباه بطوس

فصل لمّا مات المامون ولى بعده الخلافة ابو اسحاق محمد المعتصم ابن هارون الرشيد مولده سنة ١٨٠ وكان يقال له المثمّن لانه ثامن الخلفاء

وثامن اولاد الرشيد والثامن من ولد العبّاس واستخلف سنة ٢١٨ وملك ثمانية اعوام وثمانية اشهر وثمانية ايام وعاش ثمانية واربعين سنة وروى الصولي رحمه الله قال كان مع المعتصم غلامٌ في الكُتّاب يتعلّم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم يا سيّدي قد استراح من الكتاب فقال يا ولدي ان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلّمه أتركه لا تُعلّمه شيئًا فانتشأ عاميًا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة، وقال نفطويه كان المعتصم من اشدّ الناس قُوّةً وبطشًا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها احد قال وهو اوّل من ادخل الاتراك الدواوين وكان يتشبّه بملوك الاعاجم ويلبس غلمانه الاتراك ثمانية عشر الفًا وبعث الى سمرقند وفرغانة اموالًا لشراء الاتراك والبسهم اطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم اهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تُخرج جُندك الاتراك عنّا حاربناك قال وكيف تحاربونني وانتم عاجزون عن حربي قالوا نحاربك بسهام الاسحار ونَسُلّ عليك سيوف الدُّعاء فقال والله لا اطيق ذلك ولكن أخرجوني لأنظر لي بلدًا انتقل بهم فيها ولا تتضرّرون بي وكفّوا عنّي سهام دُعائكم، فبنى مدينة سرّ من راى بقرب بغداد وانتقل اليها في سنة ٢٢٠، وللمعتصم عدّة غزوات مع الكفّار من اشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضاء ونصر فيها الملّة المحمّدية الغرّاء وخذل فيها الكفرة اعداء الدين، واعزّ فيها الاسلام والمسلمين، وملخّصها ان ملك الروم اذناك من اكبر ملوك النصارى ارسل كتابًا الى المعتصم يتهدّده فاستشاط غضبًا وامر

بجوابه فكُتِبَ له الجواب فلم يُرْضه شيء منها ومزّق الكتاب الذى ورد عليه وامر ان يُكْتَب فى ظهر قطعة منها بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقراه وسيعلم الكافر لمن عُقبى الدار وتجهّز من ساعته فمنعه المنجّمون وقالوا ان الطالع نحسٌ فقال هو نحس عليهم لا علينا وسافر من يومه وتلاحقته العساكر ووقع حربٌ عظيم قُتل فيه ستّون الفًا من النصارى وأُسر منهم ستّون الفًا وهرب ملكهم وتحصّن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونزل به الى ان فتحه واسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحًا عظيمًا من اعظم فتوح الاسلام ومدحه الشعراء بقصايد طنّانة واحسن ما قيل فيها قصيدة ابى تمام التى سارت بها الركبان وطنّت حَضَاتها فى الاسماع والاذان وهى

السيفُ اصدقُ انباءً من الكُتُبِ
فى حدّه الحدُّ بين الجِدّ واللّعِبِ
بيض الصفايح لا سُودُ الصحايف فى
مُتُونهنّ جِلاءُ الشكّ والرِّيَبِ
والعلم فى شهب الارماح لامعة
من الخميسين لا فى السَّبْعة الشُّهُبِ
ابين الرواية بل ابين النجوم وما
صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كَذِبِ
ولو تبيّن امرٌ قبل موقعه
ما بخف ما حَلّ بالاوثان والصُّلُبِ
فيه تفتّح ابواب السماء له
وهزّت الارض من اثوابها القُشُبِ

فَتْحِ الفتوح المعلّى ان يحيط به
نظم من الشعر او نثر من الخُطَب
تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقمٍ
لله مرتقبٍ فى الله مُرْتَغِبِ
لم يَرْمِ قوماً ولم ينهض الى بَلَدٍ
الا تقدّمه جيش من الرُّعُبِ
لو لم يقد جَحْفَلاً يوم الوَغَى لغَدَا
من نفسه وَحْدَها فى عسكرٍ لَجِبِ
عداك حَرَّ الثغور المستضامة عن
برد الثغور وعن سلسالها الخَصِبِ
حتى تركتَ عمودَ الشرك منعفرًا
ولم تُعَرِّجْ على الاوتاد والطُّنُبِ
انّ الأُسُود أُسُود الغاب هِمَّتُها
يوم الكريهة فى المسلوب لا السَّلَبِ
خليفة الله جازى الله سَعْيَكَ عن
جُرْثُومة الدين والاسلام والحَسَبِ
ان كان بين صُرُوف الدهر من رحمٍ
موصولة او ذمام غير مُنْقَضِبِ
فبين ايّامك اللاتى نُصِرْتَ بها
وبين ايام بَدْر أَقْرَبُ النَّسَبِ

انظُرْ الى هذا الدُّرّ المنضود، والجوهر الذى يزرى بجواهر العُقُود، وتنزّه فى رياض الفاظه ومعانيه، واجْتَنِ ثمار البلاغة من مقاطف ازهاره

وبجانبيه، وخُصَّ بالحظّ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه، وكان المعتصم من اغلظ الخلفاء الذين الزموا الناس القول بخلق القرآن، وجَبَرَ علماء الاسلام على ذلك وأذاقهم الهَوان، وهذه من اعظم خلاله الرديّة، مع انه كان عاميًّا لا خطَّ له من الكمالات العلميّة، بل حمله على ذلك مجرّد الجهل والعصبيّة، وما كان اغناه هو واخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عُدْوانًا وبَغْيًا، وما لهم والدخول فى هذه المسالك الضيّقة ضلالًا وغيًّا، وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا فما اسرع ما ذهبوا وذهب غرورهم وعزّهم بَدَدًا، ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربُّك احدًا، ولمّا جرّد عليه الاجل سيف المنون، ما عصم المعتصم ظهور الحصن ولا بطون الحصون، ولا منعه عن حُسام الحِمام مال ولا بنون

كلُّ حيٍّ لاقى الحِمام فمُؤدّى ما لحيٍّ مُؤمَّل من خُلُودِ
لا تُهابُ المنون شيئًا ولا تُسْـ ـعى على الدهر ولا مَوْلُودِ
يَقْدَحُ الدهرُ فى شماريخ رَضْوَى وتَحُطُّ الصُّخُورَ من هَبُّودِ
ولقَدْ تترك الحوادث والايّـ ـام وَهْنًا فى الصَّخْرة الجَلْمُودِ
وارانا كالنَّوْع يَحْصُدنا الدَّهْـ ـرُ فمن بين قايم وحَصِيدِ
يَحْكُمُ اللهُ ما يشاء ويَقْضى ليس حُكْمُ الاله بالمردُودِ
ليس ينجى من المنون حصون عالياتٌ ولا حصار حديدِ

ومن أَرْجَى دعائه لمّا احتضر اللهمّ انك تعلم انى اخافك من قبلى لا من قبلك وأَرْجوك من قبلك لا من قبلى فيما من لا يزول ملكه ارحم ملكًا قد زال ملكه، وتوفّى رحمه الله تعالى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ٢٢٧ ☆

فصل وولى الخلافة بعد المعتصم ولده ابو جعفر هارون ولقّب الواثق

بالله فى تاسع عشر ربيع الاول سنة ٢٣٧ ومولده لعشر بقين من شعبان سنة ١٩١ وأمّه أمّ ولد روميّة اسمها قراطيس واستخلف تركيًّا اسمه اشناس ولقّبه بالسلطان وهو اول خليفة استخلف سلطانًا والبَسَهُ وشاحَيْن مجوهَرَيْن وتاجًا مجوهرًا وتبع اباه فى الامر بالقول بخلق القران ثم رجع عن ذلك فى آخر عُمره، قال الخطيب كان احمد بن ابى دُوَاد قد استولى على الواثق وحمله على التشدّد بالقول بخلق القران فحُمِلَ اليه رجل فيمن حُمِلَ فى هذه المِحْنَة وابن ابى دواد حاضر فقال له الرجل وهو مكبّل بالحديد اخبرونى عن هذا الراى الذى دعوتم اليه الناس هل هو شىء عَلِمَهُ رسول الله صلعم ولم يَدْعُ اليه الناس ام هو شىء لا يَعْلمه فقال ابن ابى دواد بل هو شىء علمه فقال الرجل فكان يَسَعُه ان لا يَدْعُو الناس اليه وانتم لا يَسَعُكم، فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضًا على فم المنديل ودخل ببيته ومدّ رجليه وهو يقول هو شىء علمه رسول الله صلعم ووسِعَهُ ان يَسْكُتَ عنه ونحن لا يَسَعُنا، وأمَرَ ان يُعْطى الرجل ثلاثماية دينار وان يُرَدَّ الى بلده ولم يمتحن بعدهما احدٌ ومَقَتَ من يومئذ احمد بن ابى دواد ولم يرتفع له شان، والرجل هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازدى شيخ النَّسَاوىّ، وكان الواثق عالمًا شاعرًا حاذقًا كثير الاكل اكثر بنى العبّاس رواية للشعر ومن شعره فى واقعة حال

حَبَّاك بالنرجس والوَرْد معتدل القامة والقَدّ
فالهبت عيناه نار الجَوَى وزاد فى اللَّوْعَة والوجد
أمَّلْتُ بالملك وصالاً به فصار مُلكى سبب البُعْد
مولَىَ تشكّى الظلم من عبده فانصفوا المولى من العَبْد،

قال الصولى اجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات فى الرقّة واللُّطف ، مات بسرّ من راى يوم الاربعاء لستّ بقين من ذى الحجّة سنة ٢٤٧ وحُكِىَ انه لما مات تُرِكَ وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكّل فجاء حِرَّوْن واستلّ عَيْنَيْه واكلهما ، فسُبْحان العزيز المتعال ، وتبارك القوى القادر ذو الجلال ، بيده الملك لا يزول ولا يزال ۞

ثم ولى بعده اخوه ابو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسى مولده سنة ٢٠٥ وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه اخوه وأُمّه أُمّ ولد تركيّة اسمها شجاع وكان كريمًا ما اعطى خليفة شاعرًا ما اعطاه المتوكّل وكان سُنِّيًّا سَنِيًّا اظهر السُّنّة واكرم علماء الحديث وامات البدع ومنع القول بخلق القرآن والزم النصارى بلبس الغُلّ وشنّع على الجَهْمية والمعتزلة وامر نائبَهُ بمصر ان يجلق لحية قاضى مصر محمد بن ابى الليث ويطوف به الأسواق على حمار لانه كان جهميًّا معتزليًّا يقول بالجهمة وخلق القرآن ففُعِلَ به ذلك ، ومن افعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن على رضه فى سنة ٢٣٦ وهدم ما حوله من الدور وجُعِلَ مزرعة ومنع من زيارته فتألّم الناس من ذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

تالله ان كانت اميّة قد اتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبّعوه رميما ،

وهذا الفعل السّيّئ تحتى جميع محاسنه ، وصار ما عَذُبَ من زُلال احسانه مغلوبًا بأُجاجه وآسنه ، وعُدّت عليه هذه الزّلّة افضح فضيحه ، وهذه الخَلّة الشنيعة اقبح من كلّ قبيحه ، ووقعت فى ايّامه عجايب منها

ان النجوم ماجت فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد ولم يُعْهَد قبل قط مثل ذلك ، ورُجِمَتْ قرية السُّوَيْدا بناحية مصر باحجار من السماء فُوزِنَ حجر منها فكان عشرة ارطال ، وسار جبلٌ باليمن عليه مزارع الى جبل آخر ، ووقع فى قرية طايرٌ ابيض دون الرخمة فصاح يا معاشر الناس اتقوا الله تعالى اربعين مرّة وجاء من الغد ففعل كذلك فكتبوا خبر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيه شهادة خمسماية انسان سمعوا ذلك باذانهم وذلك فى رمضان سنة ٢٤١ وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فارسل المتوكّل الى مكة ماية الف دينار ذهبًا لاجراء مآء عين عرفات اليها فصُرِّفت فيها الى ان جرت كذا ذكره الحافظ السيوطى رحمه الله ، وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد فى كتابه اتحاف الورى باخبار أمّ القرى فى حوادث سنة ٢٤٥ فيها غارت عين مُشَاش وهى عين مكة فبلغ ثمن القربة درهمًا فبعث المتوكّل على الله جعفر بن المعتصم مالًا فانفق عليها حتى جَرَتْ كذا ذكره ابن الاثير فى تاريخه وهذه العين من عمل زُبَيْدَة وهى عين بازان ظنًّا انتهى ، قلتُ عين مُشاش موجودة الى الآن وهى من جُمْلة العيون لله تنصبُّ فى دَبْل عين حُنَيْن وهى تجرى وتَضْعف احيانًا بقلّة المطر ومحلّها معروف ، ولمّا كثرت المماليك الاتراك فى بغداد وأُدْخلوا فى امر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم الحلّ والعقد والولاية والعزل الى ان حملهم الطُّغْيَانُ على العُدْوان وسَطَوْا على الخليفة المتوكّل لمّا اراد ان يُصَادر مملوك ابيه وَصِيفًا التركىّ لكثرة اموله وخزاينه فتعصّب له باغر التركىّ وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة اتراك وهو فى مجلس أُنسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فصاح الفتح وَيْلكم هذا

سيّدكم وابن سيّدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والخدماء على وجوههم وبقى الفتح وحده والمتوكّل غايب عن نفسه من السُّكر فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقدّه الى خَصْره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ضربة ثانية فماتا جميعًا فلفّهما معًا فى بساطٍ ومضى هو ومن معه ولم تَنْتَطح فى ذلك شاتان ، وكان قتله فى ليلة الاربعاء لليلتَيْن مَضَتَا من شوّال سنة ٢٤٧ فى القصر الجعفرى وكان بناه المتوكّل ولمّا قُتل دُفن فيه رحمه الله تعالى هو ووزيره الفتح بن خاقان الذى قُتل معه رحمه الله تعالى وكانت خلافته اربع عشرة سنة وعمره احد واربعون عامًا ☆

وولى بعده ولده محمد ابو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله ابن المعتصم بن الرشيد بويع له بالخلافة بعد قتل ابيه ولم يتهنّ بالملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة ويقال انه وَاطَأ الاتراك على قتل ابيه لَيَلى الخلافة بعده والله اعلم بذلك وكان على حَذَر من الاتراك ويَسُبّهم ويقول هولاء قتلة الخلفاء فلم يُؤمّنوه وارادوا قتله فما امكنهم الاقدام على ذلك لشدّة محاذرته منهم فدسّوا الى طبيبه ابن طَيْفُور ثلاثين الف دينار عند توعّكه ليسمّه فقصده بِمِبْضَع مسموم فاحسّ بذلك واراد قتل الطبيب فقال له انك تصبح طبيبًا وتندم على قتلى فأَمْهِلْنى الى الصُّبْح فأَمْهَله فأَصْبَح ميّتًا ، ويُحْكَى انه بات ليلة فى وَعْكه وانتَبَهَ فزعًا وهو يبكى فسألَتْه أُمّه ما يبكيك فقال افسدت دينى ودُنْياى رايتُ الى الساعةَ وهو يقول قتلتنى يا محمّد لاجل الخلافة والله لا تتمتّع بها الّا ايامًا قلايل ثم مصيرك الى النار فاستمرّ مَوْهُومًا من ذلك المنام فما عاش بعد ذلك الا ايامًا قلايل ، وذكر ابن يحيى المنجّم ان المنتصر جلس يومًا لِلّهْو وامر بفرش بساط من ذخاير الخزينة تداولَتْه الملوك

فُفرِش فرأى فيه صورة راس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر لذلك رجل من الاعاجم فقرأه بلسانه وعبّس عند قراته فسأله المنتصر عنها فقال لا معنى لها فانّ عليه فقال انا الملك شيرُويه بن كِسْرى بن هُرْمز قتلت ابى فلم اتمتّع بالملك بعده الا ستّة اشهر وهى مشهورة فتغيّر وجه المنتصر لذلك وقام من ذلك المجلس وترك اللّهو الذى اراده وصار مغتمًّا لذلك مهتمًّا به ، وكان على خلاف راى ابيه فى آل ابى طالب واعاد قبر الحسين بن على رضه بعد ما كان هدمه ابوه وامر بزيارته وردّ على آل الحسين حايط فَدَك وقصّته مشهورة وهى ممّا تنقمه الشيعة على سيّدنا ابى بكر الصدّيق رضه وانما فعل ذلك لحديث سمعه من النبىّ صلعم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، ووافقه على ذلك اصحاب رسول الله صلعم ورضى به سيّدنا على رضه ولم ينقض ذلك الحكم لمّا آلت الخلافة اليه لعلمه ان ذلك هو الحقّ وما ذا بعد الحقّ الا الضلال ، وكانت خلافة المنتصر ستّة اشهر كما تولّيه ، قال ابو منصور الثعالبى فى فى العجايب ان اعرق الاكاسرة فى الملك شيرَوَيْه قتل اباه فلم يعش بعده الا ستة اشهر واعرق خلفاء بنى العبّاس المنتصر قتل اباه فلم يعش بعده الا ستة اشهر انتهى ، قلتُ وكلّ منهما مات مسمومًا وكانت وفاة المنتصر بالقصد بِمِبْضَع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الاول سنة ٢٤٨ وكان عمره ستًّا وعشرين سنة سامحه الله تعالى ☆

ثم ولى بعده **ابو العباس احمد المستعين بالله** بن المعتصم بالله عمّ المنتصر بالله اخو المتوكّل على الله وانما قدّمه الترك واختاروه وعدلوا عن اولاد المتوكّل لانهم كانوا قتلوه فخافوا ان يلى الخلافة احد من اولاده

فيتأخذ بتدبير ابيه فاختاروا من اولاد المعتصم المستعين بالله ومولده سنة ٢٢١ وأمّه أمّ ولد تسمّى مخارق وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركى وبغى التركى حتى قيل فى ذلك

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

واستمرّ كذلك وهو يترصّد لهما الى ان ظفر بوصيف التركى فقتله ونفى باغر التركى الذى كان سَطَى فى المتوكّل وفتك به فتنكّرت له الاتراك فخرج عنهم من سَامرّا الى بغداد فارسلوا اليه يعتذرون منه ويسالونه فى العَوْد الى سامرّا وهو محلّ الاتراك فامتنع منهم، وكان المستعين فاضلاً ديّنًا اخباريًّا مُطّلعًا على التواريخ متجمّلاً فى ملبسه وهو اول من احدث الأكمام العراض فجعل عرض اكمّه ثلاثة اشبار وهو الآن من شعار ساداتنا اشراف مكّة بنى حسن اعزّهم الله تعالى، ولمّا أبى المستعين من العود الى الاتراك فى سامرّا قصد الاتراك خلعه فأنسوا الى الحبس واستخرجوا منه محمّدًا ابا عبد الله بن المتوكل على الله ولقّبوه المُعتزّ بالله وبايعوه وعُمره تسعة عشر عامًا ولم يل الخلافة اصغر سنًّا منه وخلعوا المستعين بالله فى اول سنة ٢٥٢ وجيّشوا الى بغداد جيشًا كثيفًا على المستعين بالله وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال شهرًا وكثُر القتل وغلت الاسعار وعظم البلاء وتلاشى امر المستعين بالله الى ان خلع نفسه واشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فاخذوه واحدروا به الى واسط وحبسوه بها تسعة اشهر ثم ندب له سعيد الحاجب فذبحه فى الحبس فى ثالث شوال سنة ٢٥٢ وله احدى وثلاثون سنة، واستمرّ المعتزّ بالله

خليفة وكان بديع الحسن مليح الصورة وليس فى الخلفاء اجمل حُسْنًا منه وكان مستضعفًا مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستوليًا على المعتزّ خايفًا منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه ارزاقهم ووعدوه انه اذا انفق عليهم ارزاقهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه فيصفوا له الملك ولم يكن فى خزاينه مال يصرفه عليهم فطلب من أُمّه وكانت تركيّة اسمها قبيحة لفرط جمالها بين النسآء فأَبَتْ عليه وشَحَّتْ بالمال وسخت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتّفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بُغَا واتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتزّ وجرّوا برجله واوقفوه فى الشمس وعذّبوه حتى خلع نفسه وادخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشًا رحمه الله تعالى☆ واحضروا ابا عبد الله محمد بن الواثق ولقبوه المهتدى بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥ وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف قبيحة أُمّ المعتزّ وعذّبها حتى اخذ منها الف الف دينار ذهبًا جديدًا ونصف اردب لؤلؤ ومثله زمرّد وسُدس اردب ياقوت احمر ثم أُخْرِجَتْ الى مكة واقامت بها الى ان ماتت واقلّ الناس الترحّم عليها حين ظهر عندها هذا المال وشَحَّتْ به على ولدها، وكان المُهْتَدى كثير العبادة ليس له من الامر شئ وكان قد اطرح الملاهى ومنع الظلمة من المظالم فاتّفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى ان امسكوه باليد وعصروا على بطنه الى ان مات رحمه الله فى رجب سنة ٢٥٦ وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يومًا، ثم ولى الخلافة بعده ابن عمّه ابو جعفر احمد ولقّب المعتمد على الله وستأْتى ترجمته قريبًا ان شاء الله تعالى☆